

هل "الطاقة الكونية" التي يعتمد عليها في العلاج والاستشفاء تعد سببا قدريا أو وهمايا؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ثم أما بعد؛ يكثّر اللغظ والتوهم في باب الأسباب والناس فيه على أقسام: "منهم من ينكر الأسباب، كالجبرية، ومنهم من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعلوا ما ليس بسبب سببا وهؤلاء هم عامة الخرافيين من الصوفية ونحوهم، ومنهم من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها لكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبتته الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، سواء كان سببا شرعيا أو كونيا، ولا شك أن هؤلاء هم الذين آمنوا بالله إيمانا حقيقا وآمنوا بحكمته، حيث ربطوا الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، وهذا من تمام الحكمة"¹، وبذلك يتضح أن الأسباب من حيث الحكم الشرعي تنقسم إلى نوعين:

أسباب مشروعة: وهي التي تثبت بطريق شرعي أو قدرى، أي تثبت من خلال النصوص والأدلة الشرعية، أو ثبت نفعها من خلال التجارب الحسية².

وثبت السبب من خلال التجربة لا بد أن ينضبط بضوابطه إذ ليس كل من قال بثبوت سبب تصدق دعواه، فقد يكون متوهما أو مدعيا، إذ "العلم بأن هذا كان هو السبب أو بعض السبب أو شرط السبب، فهو هذا الأمر الحادث قد يعلم كثيرا، وقد يتوهم كثيرا وهما ليس له مسند صحيح، إلا ضعف العقل"³، فلا بد من ثبوت السبب من خلال التجربة أن يكون ظاهرا بينا كما لو اكتوى بنار فبرئ، فخرج بذلك مجرد الشعور النفسي المبني على اعتقاد مسبق كن يتوهم الانتفاع بلبس الحقة والخيط في دفع مرض لاعتقاد سابق لديه بنفعها⁴.

ولعله يستثنى من ذلك ما استفاض العلم بتأثير نوعه من المحسوسات كالمطعم والمشروب، فهذا لا يلزم اختبار أفراده، وإنما يكفي في ذلك غلبه الظن، بخلاف ما لم يثبت تأثير نوع كالتعليق أو النظر أو العلاج بطاقات خفية⁵.

أسباب ممنوعة: وهي التي لم تثبت بطريق شرعي ولا كونى، فما لم يثبت بدليل شرعي، ولا بتجربة منضبطة، يحرم اتخاذ سببا، لأن كل من أثبت سببا لم يثبت شرعا بالنص، ولا كنا بالتجربة فقد

¹ انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد العثيمين (164/1-165).

² فقراءة الفاتحة سبب شرعي للشفاء، أما السبب اقدرى فهو ما ثبت بالتجربة نفعه، مثل: تناول المسهل سبب (حسي) قدرى لانطلاق البطن لأنه علم بالتجربة، القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين (164/1).

³ اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (713/2).

⁴ القول المفيد على التوحيد (165/1).

⁵ التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرعية، هيفاء الرشيد (571).

جعل نفسه شريكا مع الله ويختلف ذلك باختلاف اعتقاد صاحبه فإن اعتقد أنه سبب مؤثر بنفسه دون الله فهو مشرك شرك أكبر في توحيد الربوبية، وإن اعتقد أنه سبب ولكنه غير مؤثر بنفسه بل بقدرة الله كان ذلك شركا أصغر لا تحاذه سببا لم يجعله الله سببا، ودلل شرك الأسباب قوله تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر: 38].

والشاهد من هذه الآية أن الأصنام لا تنفع أصحابها لا يجلب نفع ولا يدفع ضرر، فليست أسبابا لذلك، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي ولا قدري، فيعتبر اتخاذ سببا إشراكا بالله⁶، ومن الواهنة، فقال: "أما إنها لا تزيدك إلا وهنا انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا"⁷، وقال عليه الصلاة والسلام: "من تعلق بقيمة فقد أشرك"⁸، وهذا فيه دليل على أن استخدام الأسباب التي لم تثبت في الشرع ولا بالتجربة لا ينتفع بها الإنسان، واستخدامها لدفع البلاء أو رفعه من الشرك، ونوع الشرك يختلف بحسب اعتقاد صاحبه فقد يكون أكبر أو أصغر كما أشرنا سابقا⁹.

وبناء على ما سبق، فكل سبب ثبت بدليل شرعي فهو سبب ثابت وصحيح وليس بمفتقر لدليل تجريبي أو علمي، أما لم ما لم يثبت بطريق شرعي فلا يعتد به كسبب صحيح حتى يثبت بتجربة منضبطة ويخلو من معارض لأصول الشريعة الإسلامية وأحكامها، وفيما يتعلق بموضوعنا وهو "الطاقة الكونية وتطبيقاتها العلاجية-الريكي، والعلاج البراني" فمن الجلي الواضح أنها ليست من النوع الأول من الأسباب التي ثبتت بدليل شرعي، فهل يمكن أن تعد من النوع الثاني من الأسباب والتي ثبتت بطريق التجربة الواضحة؟ فيما يلي مناقشة ذلك على ضوء ماهيتها، ودعاوى المتبين لها، والمنهج العلمي المتبع لاختبار الدعاوى العلمية.

من خلال الاستعراض السابق لمفهوم الطاقة الكونية وتطبيقات العلاج المرتبطة بها سواء ما سمي بـ الريكي أو العلاج البراني، يتضح بأن "الطاقة الكونية" التي يتم العلاج بها ليست أمرا ظاهرا محسوسا يمكن تمييزه ومعرفة أثره كالكي-مثلا- أو التجبير، أو ما اشتهر تأثيره ونفعه من الأشربة حيث يمكن لأفراد الناس تمييز حقيقة ومعرفة أثره بل الأصل فيها الخفاء حتى من يتبنى الترويج لتطبيقات الطاقة

⁶ القول المفيد على كتاب التوحيد (168/1).

⁷ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (17422)، (637/28)، علق عليه الأرئوط، حديث حسن، في إسناده ضعف.

⁸ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (20000)، (204/33)، علق عليه الأرئوط: إسناده قوي.

⁹ القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين (170/1-171).

كالريكي والعلاج البراني لا يعنى بالحديث عن ماهيتها بل يتركز الحديث على كيفية العمل بها ومن ثم تأثيرها والذي غالبا ما يشمل العلاج من جميع الأمراض، وتطبيقاتها في الأغلب تعتمد على التخيل وإحساس فعلى سبيل المثال يتخيل المعالج أن يقوم بتنظيف المنطقة المصابة عن طريق تمرير يديه حول المريض بطريقة معينة لينفض يديه بعد ذلك، زاعما أنه بهذا الفعل يتخلص من طاقة المرض السلبية والتي لا يمكن لأحد رؤيتها أو تحديد ماهيتها، حتى وإن استخدمت بعض المواد في تطبيقاتها كالكريستال أو الأحجار فإنها لا بد وأن تربط بتخيلات وأمور غير محسوسة كتخيل أن طاقة العلاج تعبر من خلال الكريستال إلى المريض.

وادعاء ثبوت تأثير تطبيقات العلاج بالطاقة الكونية لا يمكن أن يكون مستقلا عن ثبوت أصلها وحقيقتها لذلك فإنه يستلزم من ادعاء أن "الطاقة الكونية" سبب حقيقي قدرى وليس بوهي اتباع خطوات المنهج العلمي المعاصر لإثبات حقيقتها وتأثيرها، إذ أن ذلك يعد الحد الفاصل بين العلم الحقيقي والوهي أو المزيف، وبما أن العلاج بالطاقة الكونية وتطبيقاتها لا يمكن اختباره باعتبار خصائص مكوناته وتأثيرها كالأعشاب والزيت ونحوها من المركبات الدوائية، بل على اعتبار إثبات حقيقته الخفية المزعومة، والتي يمكن إدراجها-إن صح التعبير- في إطار الدعاوى المتعلقة بالسنن والنظم الكونية والتي لا بد من ثبوت حقيقتها وبالتالي شرعية استخدام تطبيقاتها والمتمثل بالقدرة على قياس تطبيقاتها واستخدامها إلى تجاوز خطوات المنهج العلمي والمتمثل بما يلي¹⁰:

- 1- "الاحتمالات" وتطلق على التفسيرات المتعددة.
- 2- "الفرضية" وهي التفسيرات أو الاحتمالات المرجحة، لا تكون ذات قيمة علمية إلا إذا استندت إلى حقائق جزئية أو أيدتها حقائق مؤكدة وقوية كالتنظريات.
- 3- "النظرية" وتطلق على التفسيرات المقبولة مؤقتا، والقابلة للنقض، ولا يطلق وصف النظرية إلا إذا صمدت التجربة أما الاختبار في مرحلة الفرضية.
- 4- "القانون أو السنة الكونية أو الحقيقة" ويطلق على التفسيرات اليقينية وشبه اليقينية.

وباستعراض خطوات المنهج العلمي يتضح ما يلي:

- أن ما يسمى الطاقة الكونية وتطبيقاتها العلاجية لم تستوف خطوات المنهج العلمي ولم تتجاوز المراحل الأولى والتي لا تتعدى مجرد الاحتمالات.

¹⁰ انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد اسماعيل (80-84).

- اتخاذ المروجين للطاقة وتطبيقاتها العلاجية إجراءات معاكسة للمنهج العلمي الصحيح ويظهر ذلك من خلال الجزم بصحة مفهوم الطاقة والترويج لتطبيقاتها العلاجية على أنها حقائق ثابتة ثم البحث عما يسندها من ناحية علمية، فتجد بعضا ممن يروج لتطبيقات العلاج بالطاقة ويدعي ثبوتها علميا يقول: " بأنه يجري بعض الأبحاث لإثبات بعض أشكالها، أو أن لديه بعض الأبحاث الخاصة" دون أن يكشف عنها، أو يضعها تحت مجهر التقييم العلمي من قبل العلماء والمختصين.

-الاعتماد على تجارب فردية غير منضبطة وتعميمها لإثبات دعوى جدوى وفاعلية تطبيقات الطاقة العلاجية.

-تصريح المروجين لمفهوم الطاقة الكونية بأنها وتطبيقاتها لا تخضع للتجربة والاختبار¹¹، وأنها تثبت بطرق خاصة تسمى "استبصارية"¹² وهي أحد أشكال ما يسمى "الإدراك الحسي الخارق والذي صنف ضمن العلوم الزائفة والوهمية¹³ ويعتمد على المصادر الإزوتيركية في تلقي علوم وإثباتها ويقصد بها: "العوالم الخفية المنحصرة في طائفة محدودة"¹⁴، وهي من الطرق الباطنية التي تهدف إلى إيجاد معرفة متكاملة عن الوجود والكون والحياة عن طريق التلقي المباشر من مصدر المعرفة، وهو الإله عند من يؤمنون بإله أو القوة الخفية والغيبية عند الملحدون والفلاسفة¹⁵، وهذه الطرق في حملتها غير مشروعة، وهي في حقيقتها ترخصات وأوهام، بل هي ادعاء لعلم الغيب بوسائل مختلفة كقراءة الرموز، وزعم التواصل مع أرواح من لهم مكانة من الأموات، وهذا هو عينه أحد وسائل المعرفة في العلاج البراني كما يقول زعيمة " تشو كوك"¹⁶، ومحادثة الأرواح وسؤالهم "كلها أعمال شيطانية وشعوذة باطلة داخلية فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم من سؤال الكهنة والعرافين وأصحاب التنجيم ونحوهم"¹⁷، " وأي عمل قوم به المداوي لا تفسير له، ليس له أصل شرعي، وغير مفسر بأمر علمي أو عقلي فهو نوع من الدجل"¹⁸، وبناء عليه فكل ما تمخض عن هذه الطرق الباطنية من زاعم لا يعد من

11 الريكي سؤال وجواب، شريف هزاع (13).

12 كما يدعي "تشو كوك سوي" مؤسس العلاج البراني، في أكثر من موضع من كتبه.

13 الطفرات العلمية الزائفة، تشارلز ام- آثر ديليو (146-147).

14 المعجم الفلسفي، مراد وهبة (201).

15 أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز كردي (169).

16 يعزو تشو كوك بعض معلوماته إلى معلمه (كي لينغ) والذي يتواصل معه روحيا نظريا لوفاته السابقة لولادة (تشو كوك).

17 مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز (309/3-316).

18 شرح كتاب قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل، دروس صوتية (36).

الأسباب المشرعة التي يجوز العمل بها كونها لم تعتمد في ثوبتها على أدلة شرعية ولا تجريبية، بل على وسائل مجهولة تدعي المعرفة الغيبية.

أما في حال الادعاء بأن الطاقة الكونية هي ذاتها: "الطاقة الثابتة علميا-الفيزيائية أو الكيميائية" فإن هذا مناقض للحقيقة ذلك ما يلي¹⁹:

يمكن تعريف الطاقة المثبتة علميا بأنها: "المقدرة على القيام بشغل يحدث تغييرا يمكن قياس أثره من خلال التحول من شكل لآخر" فالبطارية على سبيل المثال هي نتاج تحول الطاقة الكيميائية إلى كهربائية كما أن قياس أثر الطاقة الشمسية في أحد أشكاله يكون بحوله إلى طاقة كهربائية، وقياس الطاقة أيا كان نوعها لا يتم إلا من خلال حسابات رياضية، لا من خلال أجهزة يمكنه الاستقلال بقياس طاقة ما، ومن خلال ذلك يتضح بأن الادعاء بأن ما يسمى "الطاقة الكونية" المستخدمة في العلاج البراني أو الريكي أو غيرها من التطبيقات العلاجية هي نفسها الطاقة المثبتة علميا هو ادعاء باطل وغير صحيح إذ أنها لا تتحول من شكل لآخر حتى يمكن معرفة نوع هذا التحول أو قياس أثره فضلا على أن يقال بأن هناك جهاز يمكنه تصوير أو قياس طاقة الإنسان كما يدعي من يروج لذلك من المعالجين بما يسمى-الطاقة الكونية- إذ الطاقة العلمية الثابتة لا يقاس أثرها بالأجهزة.

وعلى المستوى العلمي والتنظيمي العالمي فقد صنف الريكي كأحد العلوم الزائفة، وتم استعراضه في موسوعة العلوم الزائفة "Encyclopedia of Pseudoscience" وعليه رفضت الجهات التنظيمية البريطانية ما يزيد عن خمسة ادعاءات صحية متعلقة بالريكي لعدم ثبوتها علميا²⁰.

وبناء على ما سبق يتضح بأن الادعاء بأن "الكي-التشي-والبرانا" والتي اصطلح على تسميتها "طاقة كونية" هي نفسها الطاقة العلمية الثابتة هو شكل من استغلال العلم والافتيات منه، وعدم ثبوت هذا الشكل من دعوى الطاقة بطريق علمي لا يعني انتفاء إمكانية ثبوتها في المستقبل إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون بالصورة الحالية المشوبة بالرؤى الفلسفية، وأشكال الطقوس الوثنية كالتأمل والرموز الشكلية واللفظية... الخ.

ونحن نناقش التطبيقات العلاجية من منظور شرعي فإن استعراض صحتها وانضباطها من الناحية العلمية لا يخرج عن ذلك، إذ أن ادعاء العلاج بما لم يثبت هو شك من أشكال الخداع والغش

¹⁹ انظر: "الرد العلمي على خرافة قانون الجذب والذبذبات والطاقة، طلال العتيبي، -4talal.blogspot.com/2014/01/blog-post.html

²⁰ تصفح: <http://www.quackwatch.org/01QuackeryRelatedTopics/reiki.html>



وخيانة الأمانة والتي تعد مخالفة لنصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها التي أوجبت الصدق والأمانة وحرمت الغش والكذب والخيانة.

كما أن عدم ثبوت ما يسمى الطاقة الكونية: "تشي، بارا، كي" وتطبيقاتها العلاجية بطرق علمية تجريبية ليس المانع الوحيد من اتخاذها سببا مشروعاً، فالنظر في مفهوم ما يسمى "الطاقة الكونية" وتطبيقاتها العلاجية المتمثلة في الريكي والعلاج البراني يجد أنها متضمنة لجملة من المخالفات لأصول الشريعة وأحكامها.